٨٥/٣٠ / [٢/١٠٧٤ظ] **تفسيرُ سورةِ «إذا السماءُ انفطَرت»**

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾: انشقَّت، وإذا كواكبُها انتثَرت منها فتساقَطَت، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾. يقولُ: فجَّر اللَّهُ بعضَها فى بعضٍ، فملأَ جميعَها.

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ على اختلافٍ منهم فى بعضِ ذلك.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾. يقولُ: بعضُها فى بعضٍ[(١)].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: فُجِّر عذبُها فى مالحِها، ومالحُها فى عذبِها[(٢)].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ[(٣)]، عن الحسنِ: ﴿وَإِذَا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى الإتقان ٢/ ٥٣- من طريق أبى صالح به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٢٢ من طريق عكرمة عن ابن عباس، إلى ابن المنذر والبيهقى فى البعث.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٨/ ٣٦٣.

(٣) بعده فى ت ١: «قتادة».

﴿ ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ . قال : فُجِّر بعضُها فى بعضٍ ، فذهَب ماؤُها[١] .

وقال الكلبىُّ : مُلِئت[٢] .

وقولُه : ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ . يقولُ : وإذا القبورُ أُثيرَت ، فاستُخْرِج مَن فيها من الموتى أحياءً . يقالُ : بعثَر فلانٌ حوضَ فلانٍ . إذا جعَل أسفلَه أعلاه ، يقالُ : بعثَره وبحثَره . لغتان .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ . يقولُ : بُحِثَت[٣] .

وقولُه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : علِمت كلُّ[٤] نفسٍ ما قدَّمت لذلك اليومِ من عملٍ صالحٍ ينفعُه ، وأخَّرت وراءَه من شىءٍ سنَّهُ يُعْمَلُ[٥] به .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** بنحوِ الذى قلنا فى ذلك .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٥٤ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور - كما فى المخطوطة المحمودية ص ٤٤٤ - إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٥٤ عن معمر عن الكلبى .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى الإتقان ٢/٥٣ - من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢٢ إلى ابن المنذر والبيهقى فى البعث .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذى » .

(٥) فى ص ، م : « فعمل » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، قال : ثنى عن القُرَظِيِّ ، أنه قال/ فى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ . قال : ما قدَّمت مما عمِلَت ، وأما ما أخَّرت فالسُّنَّةُ يَسُنُّها الرجلُ ، يُعمَلُ بها مِن بعدِه[١] . ٨٦/٣٠

وقال آخرون : عُنِى بذلك ما قدَّمت من الفرائضِ التى أدَّتها ، وما أخَّرت من الفرائضِ التى ضيَّعتها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبيه ، عن سعيدِ بنِ مسروقٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ ﴾ . قال : ما افتُرِض عليها ، وما أخَّرَتْ . قال : مما افتُرِض عليها[٢] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ . قال : تعلَمُ ما قدَّمت من طاعةِ اللَّهِ ، وما أخَّرت مما أُمِرَت به[٣] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ . قال : ما قدَّمت من خيرٍ ، وأخَّرت من حقِّ اللَّهِ عليها لم تعمَلْ به[٤] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ مَّا قَدَّمَتْ

---

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ١٠/٢٩١ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢٢ إلى عبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن المنذر .

(٣) بعده فى م : « من حق لله عليه لم تعمل به » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢٢ إلى عبد بن حميد .

وَأَخَّرَتْ ﴾ . قال : ما قدَّمت من طاعةِ اللَّهِ ، وما أخَّرت من حقِّ اللَّهِ[١] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ . قال : ما قدَّمت : عمِلت ، وما أخَّرت : تركت وضيَّعت ، وأخَّرت من العملِ الصالحِ الذى دعاها اللَّهُ إليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما قدَّمت من خيرٍ أو شرٍّ ، وأخَّرت من خيرٍ أو شرٍّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبَرنا العوَّامُ ، عن إبراهيمَ التيميِّ ، قال - ذكَروا عندَه هذه الآيةَ : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ - قال : أنا مما أخَّر الحَجَّاجُ .

وإنما اختَرنا القولَ الذى ذكَرناه ؛ لأن كلَّ ما عمِل العبدُ من خيرٍ أو شرٍّ فهو مما قدَّمه ، وأن ما ضيَّع من حقِّ اللَّهِ عليه وفرَّط فيه فلم يعمَلْه ، فهو مما قد قدَّم من شرٍّ ، وليس ذلك مما أخَّر من العملِ ؛ لأن العملَ هو ما عمِله ، فأما ما لم يعمَلْه فإنما[٢] هو سيئةٌ [٢/١٠٧٥و] قدَّمها ، فلذلك قلنا : ما أخَّر هو ما[٣] سنَّه من سنَّةٍ حسنةٍ وسيئةٍ ، مما إذا عمِل به العاملُ كان له مثلُ أجرِ العاملِ بها أو وزرِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٥٤ عن معمر به .

(٢) سقط من : ت ٢، ت ٣.

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « مما » .

خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ .

٨٧/٣٠ /يقولُ تعالى ذكرُه : يأيُّها الإنسانُ الكافرُ ، أىُّ شىءٍ غرَّك بربِّك الكريمِ ؟ غرَّ الناسَ[(١)] به عدوُّه المسلَّطُ عليه .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ : شىءٌ ما غرَّ ابنَ آدمَ ؛ هذا العدوُّ الشيطانُ[(٢)] .

وقولُه : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ ﴾ . يقولُ : الذى خلَقك أيُّها الإنسانُ ، فسوَّى خلقَك ، فعدَلك .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ المدينةِ ومكةَ والشامِ والبصرةِ : (فَعَدَّلَكَ) بتشديدِ الدالِ[(٣)] . وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ بتخفيفِها[(٤)] . وكأن مَن قرَأ ذلك بالتشديدِ وجَّه معنى الكلامِ إلى أنه : جعَلك معتدلًا معدَّلَ الخلقِ مقوَّمًا . وكأن الذين قرَءوه بالتخفيفِ وجَّهوا معنى الكلامِ إلى : صرَفك وأمالَك إلى أىِّ صورةٍ شاء ؛ إما إلى صورةٍ حسنةٍ ، وإما إلى صورةٍ قبيحةٍ ، أو إلى صورةِ بعضِ قراباتِه[(٥)] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندى بالصوابِ [(٦)]أن يقالَ[(٦)] : إنهما قراءتان معروفتان فى قرأةِ الأمصارِ صحيحتا المعنى ، فبأيتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ ، غيرَ أن أعجبَهما إلىَّ أن أقرَأ به قراءةُ مَن قرَأ ذلك بالتشديدِ ؛ لأن دخولَ ﴿ فِىٓ ﴾ للتعديلِ أحسنُ فى

---

(١) فى م : « الإنسان » .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٨/ ٣٥٦، والقرطبى فى تفسيره ١٩/ ٢٤٥.

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٦٧٤.

(٤) وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . المصدر السابق ص ٦٧٤.

(٥) ينظر معانى القرآن للفراء ٣/٢٤٤ .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢، ت ٣.

العربيةِ من دخولِها للعدلِ ، ألا ترى أنك تقولُ : عدَّلْتُك فى كذا ، وصرَفْتُك إليه . ولا تكادُ تقولُ : عدَّلتُك إلى كذا ، وصرَفتُك فيه . فلذلك اختَرتُ التشديدَ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك وذكَرنا أن قارِئى ذلك تأوَّلوه ، جاءت الروايةُ عن أهلِ التأويلِ أنهم قالوه .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ . قال : فى أىِّ شبَهٍ ؛ أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عمٍّ[1] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن إسماعيلَ[2] فى قولِه : ﴿ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ . قال : إن شاء فى صورةِ كلبٍ ، وإن شاء فى صورةِ حمارٍ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا مهرانُ ، عن سفيانَ ، عن إسماعيلَ ، عن أبى صالحٍ : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ . قال : خنزيرٍ أو حمارٍ[3] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أبى رجاءٍ ، عن عكرِمةَ فى قولِه : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ . قال : إن شاء فى صورةِ قردٍ ، وإن شاء فى صورةِ خنزيرٍ[4] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٧١٠، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٣/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى ت ٣: « عثمان » .

(٣) أخرجه الرامهرمزى فى الأمثال ص ٩٤، ٩٥ من طريق سفيان ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٣/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٣/٦ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنى محمدُ بنُ سنانٍ القزَّازُ، قال: ثنا مُطَهَّرُ بنُ الهيثمِ، قال: ثنا موسى بنُ علىِّ بنِ[(١)] رباحٍ اللَّخمىُّ، قال: ثنى أبى، عن جدِّى، أن النبىَّ ﷺ قال له: «ما [(٢)]وُلِد لك[(٢)]؟». قال: يا رسولَ اللَّهِ، ما عسى أن يولَدَ لى؛ إما غلامٌ، وإما جاريةٌ؟ قال: «فمَن يُشْبِهُ؟». قال: يا رسولَ اللَّهِ، مَن عسى أن يشبهَ؛ إما أباه، وإما أمَّه؟ فقال النبىُّ ﷺ عندَها: «مَهْ، لا تقولَنَّ هكذا، إن النطفةَ إذا استقرَّت فى الرحمِ أحضَرها[(٣)] اللَّهُ كلَّ نَسَبٍ بينَها وبينَ آدمَ، أما قرأت هذه الآيةَ فى كتابِ اللَّهِ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟». قال: «سلَكك»[(٤)].

٨٨/٣٠ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ليس الأمرُ أيُّها الكافرون كما تقولون، من أنكم على الحقِّ فى عبادتِكم غيرَ اللَّهِ، ولكنكم تكذِّبون بالثوابِ والعقابِ، والجزاءِ والحسابِ.

وبنحوِ الذى قلنا فى معنى قولِه: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ قال أهلُ التأويلِ.

---

(١) بعده فى م: «أبى».

(٢-٢) فى ت ٢، ت ٣: «ولدك».

(٣) فى م: «أحضر».

(٤) أخرجه الطبرانى (٤٦٢٤)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/١٨ من طريق مطهر به، وأخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٨/ ٣٦٥- وابن شاهين - كما فى الإصابة ٤٥٠/٢ - من طريق موسى بن على به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٣/٦ إلى البخارى فى تاريخه وابن المنذر وابن قانع وابن مردويه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِه: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾. قال: بالحسابِ.

حدَّثني الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾. قال: بيومِ الحسابِ[1].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ قولَه: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾. قال: يومُ شدةٍ، يومٌ يَدينُ اللَّهُ العبادَ بأعمالِهم[2].

وقولُه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ﴾. يقولُ: وإن عليكم رُقَباءَ حافظين يحفَظون [٢/١٠٧٥ظ] أعمالَكم، ويُحْصونها عليكم.

﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾. يقولُ: كرامًا على اللَّهِ، ﴿كَٰتِبِينَ﴾: يكتُبون أعمالَكم.

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ، قال: ثنا ابنُ عليةَ، قال: قال بعضُ أصحابِنا، عن أيوبَ في قولِه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾. قال: يَكْتُبون ما تقولون وما تَعْنُون[3].

---

(١) تفسير مجاهد ص ٧١٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣٢٣ إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٥٤ عن معمر به.

(٣) أخرجه البغوي في الجعديات (١٢٤٢) من طريق ابن علية عن أيوب، بلفظ: «تفتون» بدلا من: «تعنون».

وقولُه: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. يقولُ: يعلَمُ هؤلاء الحافظون ما تفعلَون من خيرٍ أو شرٍّ، يُحصُون ذلك عليكم.

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾. يقولُ جلَّ ثناؤُه: إن الذين برُّوا بأداءِ فرائضِ اللَّهِ واجتنابِ معاصيه، لفى نعيمِ الجنانِ يُنعَّمون فيها.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

٨٩/٣٠ /يقولُ تعالى ذكرُه: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ الذين كفَروا بربِّهم، ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾.

وقولُه: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾. يقولُ جلَّ ثناؤُه: يَصْلَى هؤلاء الفجارُ الجحيمَ يومَ القيامةِ؛ يومَ يُدانُ العبادُ بالأعمالِ[1]، فيُجازَون بها.

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: من أسماءِ يومِ القيامةِ، عظَّمه اللَّهُ، وحذَّره عبادَه[2].

وقولُه: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: وما هؤلاء الفجارُ عن[3] الجحيمِ بخارِجين أبدًا فغائبين عنها، ولكنهم فيها مخلَّدون ماكثون، وكذلك

---

(١) فى ت ٣: «بأعمالهم».

(٢) تقدم تخريجه فى ٢٠/٢٩٦.

(٣) فى م: «من».

الأبرارُ فى النعيمِ . وذلك نحوُ قولِه : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ يا محمدُ . أى : وما أشْعَرك ، ﴿ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ . يقولُ : أىُّ شىءٍ يومُ الحسابِ والمجازاةِ ؟! معظِّمًا شأنَه جلَّ ذكرُه بقيلِه ذلك .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ : تعظيمًا ليومِ القيامةِ ؛ يومٌ يُدانُ فيه الناسُ بأعمالِهم[(١)] .

وقولُه : ﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ . يقولُ : ثم أىُّ شىءٍ أشعَرك أىَّ شىءٍ يومُ المجازاةِ والحسابِ يا محمدُ . تعظيمًا لأمرِه ، ثم فسَّر جلَّ ثناؤُه بعضَ شأنِه ؛ فقال : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : ذلك اليومُ ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ ﴾ . يقولُ : يومَ لا تُغنى نفسٌ عن نفسٍ شيئًا ، [(٢)]فتدفعَ عنها[(٢)] بليَّةً نزَلت بها ، ولا تنفعُها بنافعةٍ ، وقد كانت فى الدنيا تحمِيها ، وتدفعُ عنها مَن بغاها سوءًا ، فبطَل ذلك يومَئذٍ ؛ لأن الأمرَ صار للَّهِ لا يغلبُه غالبٌ ، ولا يقهرُه قاهرٌ ، واضمحَلَّت هنالك الممالكُ ، وذهَبت الرياساتُ ، وحصَل الملكُ للملكِ الجبارِ ، وذلك قولُه : ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ . يقولُ : والأمرُ كلُّه يومَئذٍ - يعنى الدينَ - لِلَّهِ دونَ سائرِ خلقِه ، ليس لأحدٍ مِن خلقِه معه يومَئذٍ أمرٌ ولا نهىٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٩/٥١٨.

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فيدفع عنه » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ . قال : ليس ثَمَّ أحدٌ يومَئذٍ يقضِى شيئًا ، ولا يصنعُ شيئًا إلا ربُّ العالمين[١] .

٩٠/٣٠ /**حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ : والأمرُ واللَّهِ اليومَ للَّهِ ، ولكنه يومَئذٍ لا ينازعُه أحدٌ[٢] .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ ﴾ ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحجازِ والكوفةِ بنصبِ ﴿ يَوْمَ ﴾ ، إذ كانت إضافتُه غيرَ محضةٍ[٣] . وقرَأه بعضُ قرأةِ البصرةِ بضمِّ (يَوْمُ) ورفعِه ردًّا على اليومِ الأولِ[٤] . والرفعُ فيه أفصحُ فى كلامِ العربِ ، وذلك أن اليومَ مضافٌ إلى « يفعل » ، والعربُ إذا أضافت اليومَ إلى « تفعل » أو « يفعل » أو « أفعل » رفَعوه فقالوا : هذا يومُ أفعلُ كذا . وإذا أضافته إلى فعلٍ ماضٍ نصَبوه[٥] ، ومنه قولُ الشاعرِ[٦] :

على حينَ عاتَبْتُ المشيبَ على الصِّبا وقلتُ ألمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وازعُ

آخرُ تفسيرِ سورةِ « إذا السماءُ انفَطَرت »

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٥٤ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٣٢٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٨/ ٤٣٧، وابن كثير فى تفسيره ٨/ ٣٦٧.

(٣) وهى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى وابن عامر وأبى جعفر المدنى وخلف . النشر ٢/ ٢٩٨.

(٤) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب الحضرمى . النشر ٢/ ٢٩٨.

(٥) ينظر معانى القرآن للفراء ٣/٢٤٥ .

(٦) هو النابغة ، وقد تقدم تخريجه فى ٩/ ١٤١.